

احدى روايات مكسيم غوركي

الكاتب الروسي المشهور الذي يعد من زعماء
الثورة الروسية الاخيرة ومن اكبر كتاب روسيا

ملفا

—٤٣٥٨—

ذكرنا في غير هذا الموضع من هذا الجزء اننا سنطبع لثمة رواية (مريم قبل التوبة)
على حدة ولذلك لم ننشرها فيه واننا سنشرع في نشر رواية جديدة . وحيث اننا اشتغل
الآن بها فقد رأينا ان لا نترك هذا الجزء خلواً من رواية لا نعلمه من ولع بعض القراء بالروايات .
ومن حسن الحظ اننا وقعنا قبل سفرنا من فرنسا على روايات للكاتب الروسي المشهور مكسيم
غوركي وطالعنا بعضها في الطريق بين جنوى والاسكندرية . فاخترنا منها رواية (ملفا)
* مكسيم غوركي وحياته العجيبة * اسمه الحقيقي انكسي بشكوف ولد في مدينة

نيجني نوفو كورود ولا يعلم تاريخ مولده ولا احد يعلمه وانما المظنون انه في سنة ١٨٦٨ وقد
مات ابوه وامه وعمره تسع سنوات فاستخدم في محل صانع احذية ثم فر منه واستخدم في
محل مصور وانتقل منه الى باخرة استخدم فيها لغسل الصحون . ولم يبلغ الخامسة عشرة من
عمره حتى كان قد عمل في جميع الحرف الا الكتابة والمطالعة . فاراد الانصباب على
الدرس فسافر الى قزان ولكنه اضطر فيها ان يكون خبازاً وحمالاً . واصل احذية ومثشراً
ومتسولاً . واذ لم بقدر على الانقطاع الى الدرس عمد الى الانتحار فانحصر ولكنه نجح ولم يم
فاخذ بعد نجائه يطوف في روسيا مرافقاً للطبقات الدنيا فيها وعائشاً معيشتهم . واستمر على
ذلك حتى سنة ١٨٩٢ وهي السنة التي نشر فيها اولى رواياته . وعنوانها (الحب القتال)
فالتفت الجمهور اليه . وفي العام التالي نشر روايته (في الظلام) فنال بها الشهرة وطيب
الاحدوثة بين الادباء . ومنذ ذاك الحين جمل التأليف دأبه فطارت شهرته في الافاق
وتُرجمت جميع رواياته الى جميع اللغات الاوروبية . وفي سنة ١٩٠٥ بدأت الثورة
الروسية الاخيرة فقبضت عليه الحكومة الروسية بحجة انه يشير بكتابات ونشراته افكار
الشعب فسجنته في سجن القديس بطرس وبولس ولكنها لم ترقى الى قيام العالم المتحضر

قومة واحدة لطالب الافراج عنه واطلاق سراحه تسامحت واطلقت سراحه فكانت اعقل وافضل من حكومة اسبانيا في حادثها مع فرر

﴿طريقته في رواياته﴾ طريقة غوركى في رواياته وقصصه طريقة نفرد بها . فانه يجعل كلامه قاصراً على الطبقات الدنيا . فابطال جميع رواياته تقريباً انما هم لصوص ومشردون ومهربو بضائع ومنسولون ونساء ساقطات وحمالون وبجارة وعملة الخ . ولا يخفى انه عاشهم جميعاً وعاش معيشتهم فهو يصور اخلاقهم وعاداتهم تصويراً طبيعياً ثم ينسب اليهم اعمالاً جميلة بعضها عظيم لا يصدر الا عن العظام . وهو يريد بذلك تحبيبهم الى الناس والدلالة على قابليتهم للاصلاح وحث الحكومة والطبقات العليا على الالتفات اليه والعناية بشؤونهم . وهو وتولستوي في هذا على اتفاق . ولكنه ونييتش على طرفي نقيض فيه . ﴿ملفا﴾ وأبطال رواية ملفا التي سنعر بها صيادون ومشردون وفيهم امرأة ساقطة هي اهم شخص في الرواية . وبعد هذا التمهيد نشرع في تلخيص الرواية

الفصل الاول

كان البحر ذلك اليوم يتنفس ويتنهد بينما تضغط عليه نسمات المساء ويداعبه حرّ الشمس . وكان على شاطئه رجل متمدداً يدعى فاسيلي لكوستر وهو وكيل مصائد تاجر السمك كريتشتشيكوف . وكان ينظر وهو متمدّد في جهة شبح بعيد بدا في عرض البحر ويتسم مسرة . ذلك لان القادم (ملفا) وهذا هو الزورق الذي اعتادت ان تزور عليه فاسيلي . وقد خيل اليه انه يسمع قبل وصولها اليه صوتها الرخيم وضحكها الدرية ويرى عنقها الفتان

ولكن لم يكذب بدنو الزورق حتى اجفل فاسيلي واسنوى جالساً على الرمل . ذلك لانه ابصر في الزورق رجلاً مع ملفا . فمن عساه ان يكون . أترأه سريكييا ؟ كلا لان سريكييا احذق في فن التجديف

فلم يستطع فاسيلي صبراً فصاح — من هذا فاجئت من صوته ظيور البحر التي كانت عائمة على سطحه والنفثت كأنها تصفي اليه فاجاب صوت من الزورق — هذا انا

فقال فاسيلي ومن معك . فكان الجواب من الزورق قهقهة شديدة فعربد فاسيلي وصاح يا لاشيطان ثم بصق من غضبه وكان الزورق قد ازداد دنواً من الشاطئ فعاد فاسيلي الى سؤاله بنزق — من معك

فاجابته ملفا ضاحكة تمهل فستعلم

ثم ان ملفا صاحت برقيقها ان اضرب ضربة من هذه الجهة . فضرب رفيقها البحر
بجذافه فانخذف الزورق الى الشاطئ ووثب منه شاب مسرعاً الى فاسيلي وقال له -
سلام يا ابناه

فذعر فاسيلي اذ عرف ابنه فقال هذا انت يا يا كو . وقد غصّ بريقه حين عرفه
فتعانق الاب والابن ثلاثاً ولكن الناظر اليهما كان يرى اضطراب الأب في هذا
الملتقى على غير موعده

ثم قال الأب . هذا أنت ؟ ان نفسي كانت تحدثني بقرب مقدمك . قال هذا وهو
بداعب لحيته بانامله ويحاول ان يلقي نظره الى ملفا . ولكنه كان يرى ان ابنه ناظر اليه .
وكان مسروراً بان يرى ابنه شاباً قوياً جميلاً ولكن وجود ملفا كان ينغص سروره هذا .
فاخذ باقي على ابنه السؤال تلوا السؤال عن مزرعته وزوجته والاضطراب باد في وجهه
فقال ملفا . يظهر ان سرورك باقى ابنك جعلك في هذا الاضطراب حتى ذهلت ان
تدعوه الى الكوخ وتقدم له شيئاً

فنظر فاسيلي الى ملفا فلم يرَ لها في ذلك اليوم ما كان يعده فيها من الخفة والبشاشة
الا انها كانت اجمل واغض منها في سائر الايام . وكانت في هذا الحين تطعن نوى البطيخ
باسنانها البيضاء الدقيقة وعيناها الصافيتان الحادثتان تنتقلان بين الأب وابنه
اما يا كو الابن فلم يكن به شيء من الاضطراب بل كان يضحك . فقطع ابوه ضحكه
ونظراتها بقوله وقد اتجه نحو الكوخ . انني راجع بعد حين فاجلسا في الظل لانه
واستقي الماء من البئر لطبخ السمك وحسائه

ثم تناول اناء كان على الارض بجانب كوخه وتوارى به وراء شباك الصيد المنشورة هناك
فاتجه يا كو وملفا نحو الكوخ ثم نظرت ملفا الى يا كو بجنوح وقالت : قد جئت بك ايها
الشاب الى ابيك فاصبحت عنده . فنظر يا كو الى ملفا فاتقدت عيناه واثار انقاده اواجهه المزين
بلحية كستنائية صغيرة واجاب . نعم صرنا عنده . ما اجمل هذا المكان والبحر المحيط به .
فقال نعم ولكن كيف وجدت اباك هل رأيت انه قد هرم . قال كلا فاني كنت اتوقع
ان اراه اشد هرمًا وعجزاً فاذا به قوي كالسنديانة القوية . قالت منذ كم سنة لم تره .
قال لما فارقنا وترك القرية كنت في السنة السابعة عشرة

ثم دخلا الكوخ وكانت البسط المبسوطة فيه قدرة فتكاد تثن منها الاسماك المملحة

الملقاة عليها . وكان هواه الكوخ شديداً على الصدر . فجلس ياكو على جذع شجرة في الكوخ وجلس ملفا على أكياس بازائه وبينهما برميل كان يخذله فاسيلي كأداة . واخذا ينظران احدهما الى الآخر وهما ساكتان . ثم قالت ملفا هل تبغي ان تجد عملاً في هذه الجهات وتقيم فيها . قال لا أعلم ولكنني ارغب في ذلك اذا كنتُ أجد عملاً . قالت وفي صوتها لهجة التأكيد ستجد وانا اعدك بذلك

ثم أخذت ملفا تطيل النظر الى ياكو وتبين ملامح وجهه . فاخذ ياكو يسمح بكم فيصه العرق الذي كان ينضح من وجهه وهو يتساءل مامعنى تلك النظرات السرية التي كانت تلقىها تلك المرأة اليه . وكان ملفا أدركت مافي نفسه فاخذت تضحك

ثم قالت لا بد ان امك عهدت اليك ان تبلغ الى ابيك شيئاً غير السلام والتحية . فعبس ياكو وأجاب . نعم ولكن ما مرادك بهذا السؤال . فاجابت لاشيء . واستمرت تضحك . وكان ياكو يتألم من ضحك ملفا كلما ضحكت ويتساءل هل هذا غنج ودلال ام شيء آخر . ثم تذكر ما اوصته به امه فصرف وجهه عن تلك المرأة واصبح ينفر منها .

ان امه قالت له قبل رحيله الى ابيه وهي تبكي : قل لايك اكراماً للمسيح لا تتركني وحدي . لقد مضت خمس سنوات وهو هناك وانا هنا وحدي . فقل له ان الهرم بدأ يذب اليّ وانني اكاد اصبح عجوزاً . قل له اكراماً لله انها على الدوام تعيش وحدها وتشتغل وحدها . ولما زودته امه بهذه الوصية في آخر القرية حين خرجت لوداعه لم يبال كثيراً بهذا الكلام . اما الآن وقد رأى ملفا وهي تضحك وتستمر في الضحك فقد احسّ بجنان شديد وشفقة على امه وكاد يشب على ملفا وبينهما

ولكن هنا دخل فاسيلي وفي احدى يديه سكين وفي الأخرى سمكة كبيرة تتخلج وقال هاءنذا ولكن عليّ ان اوقد النار اولاً ثم اعود اليكما . ثم قال لياكو وهو يخفي اضطرابه قد شببت وصرت جميلاً الآن يا ياكو . ثم خرج

اما ملفا فانها استمرت تطيل النظر الى ياكو وياكو يغض طرفه وكانت لاتزال تطحن نوى البطيخ باسنانها الجميلة . فاخذ ياكو يقول في نفسه انها كليها اي فاسيلي وملفا يتغذيان جيداً ههنا لان دلائل العافية والصحة على وجهيهما . ولكنه احس بضيق في نفسه من هذا السكوت فنفض وقال اني ذاهب لاجي بكيسي الذي تركته في الزورق ثم خرج دون ان يلتفت الى ملفا .

وفي هذا الحين عاد فاسيلي وجلس في المكان الذي كان ابنه جالساً فيه ثم الوى نحو

ملفا وقال بلهجة الرجل المستاء : كيف قدمتِ معه الى هنا . وماذا اقول له . وكيف تكونين معي هنا بازائه .

فاجابت ملفا كأنها تمزح — لقد جئت كما ترى .

قال ماهذا بجواب فانك تعلمين اني متزوج وزوجتي في المنزل . وهذا ابنها . فلا افهم كيف فعلت ذلك .

قالت وماذا تريد ان افهم من كلامك هذا . هل تظن ان وجودي هنا يعني . انني احب ان تعلم انني لست بحاجة الى احد

ثم انها الفت نحوه نظرة غضب وانفة . ونقلت بعد ذلك ملامح وجهها من الغضب الى الانبساط والضحك وقالت : كم جاش الضحك في نفسي حين رأيتك امامه مضطرباً هذا الاضطراب . ولكني من حسن حظك قد ملكت نفسي

فقال ما كان ينقص غير هذا

ثم انه سمع وقع قدمي ابنه قادماً فسكت . فدخل يا كويتاً بط كيس ملابسه ونظر شرراً الى ملفا حين دخوله . فلما جلس قال له ابوه وهو يبتسم تكلفاً . هاقدايت الى . ولكن ما الذي حملك على المجيء الى هنا

فاجاب يا كويت قد كتبنا اليك فلم تجاوبنا . قال ابوه لم يصلني كتابكم وانني لفي عجب من ذلك . فقال يا كويت فانت تجهل اذاً حالتنا . ثم نظر الى ابيه نظرة حذر وشك . فاجاب فاسيلي لاشك في انني اجهلها لانه لم يردني منكم كتاب .

فاخذ يا كويت حينئذ يشرح لايه حالتهم في المزرعة (١) فقال له ان باب الرزق اصبح ضيقاً فيها . فان الفرس مات وما كان لديهم من القمح نفد منذ شهر فبراير وكادت البقرة تموت ايضاً لان علفها قد نفد ايضاً فباعوا ثلاثة خرفان وابتاعوا بثمنها علفاً ثم كتب هو الى ابيه كتاباً يطلعه فيه على رغبته في السفر اليه ليعمل ويكتسب مايسد حاجتهم

(١) في الاصل (العزبة) وهذا هو امم المزرعة في روسيا ومن الغرابة ان يكون هو اسمها ايضاً في مصر

